﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ [يس: 43 - 44]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

العلاقةُ بين تسخير الرَّكائبِ، والتَّأكيدُ بأنَّ الإنجاءَ منَ المهالكِ رحمةٌ منَ الله المالكِ

لمّا كان اللّه تعالى قد أنجى آباءَنا حين حملَهم في ذلك الماء الذي لم يكُنْ مثلُه قطُّ، وكان ربَّما ظُنَّ أنَّ الإنجاءَ لسرٍّ منَ الأسرارِ غيرِ إرادتِه، جعل أمر ما خلق من مثله تارةً، وتارةً ليعرفَ أنَّ ذلك هو بصُنعِه فتُشكَرُ نعمتُه أوَّلًا وآخرًا؛ فقال تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾، ولمّا كان هو سبحانَه يُصرِخُ مَن يشاءُ فيُنجّيه رحمةً منه، وكانت (لا) نافيةً نفيًا مُستغرقًا، استثنى ما كان منه سبحانه فقال: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[1].

وأيضًا لمّا كان قولُه تعالى: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ مُفيدًا باعتبارِ دلالتِه الكنائيَّةِ على استمرارِ هذه الآيةِ وهذه المنَّةِ تذكيرًا بأنَّ اللّه تعالى الذي امتَنَّ عليهم إذا شاء جعَلَ فيما هو نعمةٌ على النّاسِ نقمةً لهم لحكمةٍ يعلَمُها؛ عبَّرَ بالآيتَين عادةَ القرآنِ في تعقيبِ التَّرغيبِ بالتَّرهيبِ وعكسِه لئلّا يبطَرَ النّاسُ بالنِّعمةِ ولا ييأسوا منَ الرَّحمةِ[2].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَرِيخَ﴾: (صرخ) أصلٌ يدلُّ على صوتٍ رفيعٍ، ومن ذلكَ (الصُّراخُ)، يُقالُ: (صَرَخَ يَصْرُخُ): إذا صَوَّتَ[3]، و(المُستَصرِخُ): المُستَغيثُ، و(المُصرِخُ): المُغيثُ، و(الصَّريخُ): المفزعُ والمُعينُ، ومنه: (أصرختُهم): أي: أعنتُهم[4]، ويُقالُ أيضًا: الصّارِخُ: المُستغيثُ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 134 - 135.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 29.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صرخ).
(4) الخليل، العين: (صرخ).

والصّارِخُ: المُغيثُ، ويُقالُ: بل المُغيثُ مُصرِخٌ[1]، والمُرادُ بالصَّريخِ في الآيةِ: المُغيثُ والمُعينُ، ومعناه: فلا مُغيثَ لهم ولا مُعينَ منَ الغرَقِ.

2) ﴿يُنقَذُونَ﴾: (نقذ) أصلٌ يدلُّ على استِخلاصِ شيءٍ[2]، و(النَّقْذُ): مصدرُ: نَقِذَ ينقَذُ نَقَذًا، وقالوا: (ينقِذُ) بكسرِ القافِ، إذا نَجا[3]، وأنْقَذَه من فلانٍ، واستَنْقَذَه منه، وتَنَقَّذَه: بمعنًى؛ أي: نجّاه وخلَّصَه، وكلُّ ما أنقَذْتَه فهو: نَقَذٌ[4]، والمُرادُ بالإنقاذِ في الآيةِ: التَّخليصُ والنَّجاةُ من كربٍ أو حيرةٍ، وهو هنا بمعنى: الانتشالِ منَ الماءِ.

3) ﴿وَمَتَٰعًا﴾: (متع) أصْلٌ يدلُّ على بُلوغِ الغايةِ منَ الشَّيءِ، يُقالُ: مَتَعَ النَّهارُ يمتَعُ مُتوعًا؛ أي: بلغَ غايةَ ارتفاعِه[5]، يُقالُ: جبلٌ ماتِعٌ: طويلٌ شاهِقٌ، والمُتوع: امتدادُ الشَّيءِ طولًا مع قوَّته، وكمالِ حالِه، وجودةِ هيأتِه؛ ولذا استُعملَ فيما يبلُغ به الشَّيءُ ذلك من قوَّةٍ باطنةٍ وزادٍ وأسبابهما[6]، والمتاعُ: ما يستمتعُ به الإنسانُ في حوائجِه[7]، والمُرادُ بالمتاعِ هنا: المنفعةُ العاجلةُ؛ أي: نَيلُ ملذّاتِ الدُّنيا غيرِ الدّائمةِ.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ الحقُّ تعالى: وإن نشَأْ نُغرِقْ مَن يركبون السُّفُنَ في البحرِ، فلا مُغيثَ لهم يطلُبون منه النَّجدةَ، فيمنعُ عنهم حدوثَ الغرقِ، ولا أحدَ يُنقِذُهم فينتشِلُهم من الماء بعد غرقِهم فيه، إلّا أن نُنَجّيَهم نحن منَ الغَرَقِ؛ رحمةً منّا بهم، ولنُمتِّعَهم إلى مُنتَهَى آجالِهم المعلومةِ عند اللّه تعالى[8].

ينبغي ألّا يُؤمَنَ عذابُ اللهِ تعالى فهو يُغرِقُ ويُنجي بمشيئةٍ منه ورحمةٍ

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (صرخ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نقذ).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (نقذ).
(4) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (نقذ).
(5) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (متع).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (متع).
(7) الخليل، العين: (متع).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 447، والواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 515، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 286.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### مُناسبةُ الوصلِ في الآيةِ:

جاء قولُه تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ بطريقِ الوصلِ بالواو عطفًا على: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؛ وناسَبَ ذلك لاشتراكِ الجملتَين - المعطوفةِ والمعطوفةِ عليها - في الخبريَّةِ، وفي الجهةِ الجامعةِ؛ لأنَّها مُتمِّمةٌ لمعنى الآيةِ الباهرةِ، ولتذكيرِهم بعظيمِ نعمتِه سبحانَه في أنَّ كمالَ نعمةِ الحملِ في الفُلك بعدمِ غرقِهم، فلمّا امتَنَّ عليهم بالحمل والرُّكوب خوَّفَهم بالغرقِ؛ ليجمعَ الكلامُ بين التَّرغيب والتَّرهيب كما تقدَّم.

الجمعُ بين التَّرغيبِ والتَّرهيبِ أسلوبٌ في القرآنِ عجيبٌ

### مُناسبةُ مجيءِ الشَّرطِ بالأداةِ (إنْ):

لمّا كان الأصلُ في استعمالِ الأداةِ (إنْ) أنَّها تأتي في حكمٍ نادرِ الوقوع ليُقصَدَ بها عدمُ الجزم في وقوعِ الشَّرط؛ دلَّ قولُه تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ على أنَّ الإغراقَ لا يكون إلّا بمشيئةِ اللّه تعالى، وأنَّه لا يكونُ إلّا نادرًا، وأنَّ الإغراقَ على سبيلِ العقابِ لا يكونُ إلّا لمَن كفَرَ وكذَّبَ.

الإغراقُ على سبيلِ العقابِ لا يكونُ إلّا لمَن كفرَ وما أنابَ

### مُناسبةُ التَّعبيرِ بأسلوبِ الشَّرطِ:

لمّا كان الشَّرطُ على معنى تعليقِ الجزاء بالشَّرط، واقترانِ وُقوعِه بمُجرَّد وقوعِ الشَّرط أفاد تعليقُ الإغراقِ بمحضِ المشيئةِ وأنَّ وقوعَ الإغراقِ يحصُلُ في وقت وقوع المشيئة الإشعارَ بأنَّه قد تكاملَ ما يوجِبُ إهلاكَهم من معاصيهم، ولم يبقَ إلّا تعلُّقُ مشيئتِه تعالى بإغراقِهم[1]، ففيه تخويفٌ لهم وتوبيخٌ على أعمالِهم القبيحةِ.

حينَ تتكاملُ موجباتُ العقابِ يبقَى وُقوعُه مَنوطًا بمشيئةِ اللهِ تعالى

### دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ:

عبَّر بصيغة المضارع في قولِه: ﴿نَّشَأْ﴾ للدَّلالة على أنَّ مشيئتَه سبحانه قد تقعُ في أيِّ وقتٍ؛ لما يدُلُّ عليه الفعلُ من معنى التَّجدُّد،

مشيئةُ اللهِ بالعقابِ لا يعلمُ وقتَ وُقوعِها إلّا مالكُ الرِّقابِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 169.

وفي التَّعبير بصيغة المضارع أيضًا إشعارٌ بعظيم رحمته؛ لدلالةِ المُضارع على المُستقبلِ غيرِ المقطوعِ به المُناسب للشَّرطِ.

### مُناسبةُ حذفِ المفعولِ في السّياقِ:

بيانُ أنَّ كلَّ فعلٍ واقـعٌ بمشيئةِ الله تعالى

حُذِفَ مفعولُ: ﴿نَّشَأۡ﴾ للاختصارِ، لنيابةِ قرينةِ السّياقِ عن ذكرِه، فإنَّه لمّا قال: ﴿وَإِن نَّشَأۡ﴾ علِمَ السّامعُ أنَّه تعالى قد علَّقَ هذه المشيئةَ في المعنى بشيءٍ، فهو يضَعُ في نفسِه أنَّ ههنا شيئًا تقتَضي مشيئتُه له أن يكونَ، أو أن لا يكونَ، فلمّا قال: ﴿نُغۡرِقۡهُمۡ﴾ عرَفَ ذلك الشَّيءَ، وتقديرُ الكلامِ: وإنْ نشأْ إغراقَهم نُغرِقْهم، فيكونُ من باب الحذفِ منَ الأوَّل لدلالةِ الثّاني عليه، فجاء البيانُ بعدَ الإبهام، ونُكتةُ الحذفِ القصدُ إلى التَّعميم؛ كي لا يقصُرَ السّامعُ مشيئَتَه تعالى على الإغراقِ فقط؛ فأفاد الإيجازُ بتقليلِ اللَّفظِ تكثيرَ المعنى، ولبيانِ أنَّ كلَّ فعلٍ واقعٌ بمشيئَتِه تعالى، وأنَّ الإغراقَ ليس ممّا يكبُرُ على اللّه تعالى، وأفادَ ورودُ البيان أيضًا بعدَ الإبهامِ وبعدَ التَّحريك له لُطفًا ونبلًا لا يكونُ إذا لم يتقدَّمْ ما يُحرِّكُ[1].

### فائدةُ الإسنادِ إلى نونِ العظَمةِ:

السُّفُن لا تمنَعُ منَ الإغراقِ، ومَن يحميها ومَن فيها هو الله مُجريها

جاء الفعلانِ: ﴿نَّشَأۡ﴾ و﴿نُغۡرِقۡهُمۡ﴾ مُسندَين إلى نونِ العظمة؛ للإيذانِ بعظمة مشيئتِه وتعظيمِ شأنِ أفعالِه ﷻ، وبأنَّه لا يفعلُ هذا الفعلَ إلّا الملكُ الواحدُ الأحدُ؛ أي: وإنْ نشأْ نُغرِقْهم مع إيجادِ السُّفُنِ، فالسُّفُنُ لا تمنَعُهم من إغراقِنا لهم، بما لنا منَ العظَمةِ.

### بديعُ المُقابلةِ في قوله: ﴿نُغۡرِقۡهُمۡ﴾:

المُرادُ منَ الإغراقِ ما كان على سبيلِ العذاب

لمّا قال اللّه تعالى: ﴿حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ كان الحملُ مُضمَّنًا معنى الإنجاءِ منَ الغرقِ، المُفيدِ للامتِنانِ، فناسبَه أن يُقابلَه بـ﴿نُغۡرِقۡهُمۡ﴾ ليكونَ على طريقِ المُقابلة لـ﴿حَمَلۡنَا﴾، ليُفيدَ أنَّ

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 164، والسكاكي، مفتاح العلوم، ص: 229.

المرادَ منَ الإغراقِ ما كان على سبيلِ العذابِ، فجمعَ في الآيتَين بين التَّرغيبِ والتَّرهيبِ، جَرْيًا على عادةِ القرآنِ المجيدِ.

**دلالةُ الضَّمير في قولِه: ﴿نُغْرِقْهُمْ﴾:**

الضَّميرُ في ﴿نُغْرِقْهُمْ﴾ عائدٌ إلى المشركين المُكذِّبين، مع ما اتَّصَفوا به منَ الحمل في الفُلكِ المشحون، والمعنى: إنْ نشَأْ نُغرِقْهم في اليمِّ، مع ما حملناهم فيه منَ الفُلكِ[1].

لا فرارَ من قدَرِ اللهِ في الغرقِ إذا كان بأمرِ اللهِ قد سبقَ

**دلالةُ (الفاء) في قولِه: ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾:**

أفادتِ الفاءُ في قوله: ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ التَّعقيبَ والتَّرتيبَ، بمعنى: ترتُّبِ انتفاءِ صُراخِهم على إغراقِنا لهم، على سبيلِ العقاب والعذاب، أي: فلا صريخَ لهم إنْ أغرَقْناهم.

ترتُّبُ انتفاءِ الصُّراخِ على الإغراقِ الصُّراخِ

**فائدةُ الحذفِ في السّياقِ:**

في قولِه تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ حذفٌ لطيفٌ، وتقديرُ الكلام: وإنْ نشَأْ نُغرِقْهم فيغرَقوا؛ فلا صريخَ لهم، فحُذِفَ (فيغرَقوا)؛ للإيذانِ بتحقُّقِ وقوعِه بمُجرَّدِ مشيئَتِه تعالى للأمرِ، فذُكِرَ ما ينتجُ من غرقِهم وما يحصُلُ لهم عقيبَه؛ للإعلامِ به وحُذِفَ ما هو مُتحقِّقُ الحصولِ، إشعارًا بأنَّ مشيئةَ اللهِ لا مانعَ لها.

مشيئةُ اللهِ لا مانعَ لها ولا مُمتنعَ من حُصولها

**دلالةُ (لا) النّافيةِ للجنسِ:**

أفادَ التَّعبيرُ بـ(لا) النّافيةِ للجنسِ في قولِه: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ نفيَ جنسِ الصَّريخ لهم بعد غرقِهم؛ ليُنَجّيَهم منَ الغرقِ، بمعنى: لا وجودَ لصريخٍ لهم أصلًا يحفَظُهم منَ الغرقِ، مع أنَّ غرقَهم يستَدعي أن يكونَ لهم صريخٌ.

بيانُ أنْ لا صريخَ برُغمِ أنَّ الموقفَ يستلزمُ الصَّريخَ

**نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ: ﴿صَرِيخَ﴾ دونَ: (مُغيث):**

الظّاهرُ أنَّ الصَّريخَ في قولِه: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ بمعنى المُغيث،

التَّعبيرُ بالصَّريخِ للإشعارِ بأنَّ الإغراقَ يكونُ مُفاجئًا، ويكون مُفزِعًا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 169.

وعبَّر بالصَّريخ دون المُغيث؛ للإشعارِ بأنَّ إغراقَهم يكون فجأةً ويستَدعي صيحةً شديدةً منهم لشدَّة الفزعِ والهولِ الذي يُصيبُهم عند الغرقِ، من أجلِ إغاثتِهم، ولكنْ لا صرخةَ لهم ولا صريخَ يُغيثِهم، كما أنَّه لمّا قال: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أفادَ كذلك أنَّه لا منَعَةَ لهم[1]، ولمّا نفى الصَّريخَ على معنى العمومِ كان المعنى: لا مُغيثَ لهم يمنَعُنا من إغراقِهم إنْ شئنا إغراقَهم، ولا مُغيثَ لهم يمنَعُهم منَ الغرقِ إنْ أغرَقْناهم، فعُبِّرَ بلفظٍ قليلٍ عن معنًى كثير مع فصاحةِ اللَّفظ وحُسنِ التَّأليف.

ويحتملُ أن يكون الصَّريخُ بمعنى: المُستَغيث؛ أي: فلا استِغاثةَ لهم؛ بمعنى: نفيِ الاعتِدادِ بصُراخِهم عند استغاثتِهم[2].

**سرُّ إيثارِ لفظِ: ﴿صَرِيخَ﴾ دونَ: (مُنقِذ):**

أفـــادَ نـفـيُ الـصَّـريـخِ نـفـيَ المُـغـيـثِ، وأفـادَ نفيُ الإنقاذِ نفيَ المُنَجّي

وعبَّر بلفظِ: ﴿صَرِيخَ﴾ ولم يقُلْ: (ولا مُنقِذَ لهم)، وذلك للفرقِ بينَ اللَّفظَين باعتبارِ المقام؛ لأنَّه لمّا أراد أنَّه لا أحدَ له القدرةُ على النُّصرة، أو الدَّفع، أو المنع من إغراقِهم، عبَّر بـ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾، فإنَّ مَن لا يكونُ من شأنِه أن ينصُرَ لا يشرعُ في النُّصرةِ؛ لأنَّها ليست في قُدرتِه، وإنَّما ينصُرُ ويُغيثُ مَن يكونُ من شأنِه أن يُغيثَ، ولم يقُلْ: (ولا مُنقِذَ له) عطفًا على ما سبقَه، بل عدلَ إلى قولِه: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾؛ لأنَّ مَن لا يكون من شأنِه أن يُنقِذَ إذا رأى مَن يعزُّ عليه في ضرٍّ أو ورطةٍ فإنَّه يشرعُ في الإنقاذِ وإن غلَبَ على ظنِّه عدَمُ الإنقاذِ، لكنَّه يبذُلُ المجهودَ، ولهذا جاء بأسلوبِ نفيِ الجملةِ الاسميَّةِ الدّالِّ على ثُبوتِ نفيِ الإنقاذ منَ الغرق، وإنْ حصلَتِ المُحاولة وبُذِلَ الجُهدُ، ولو قيلَ: (ولا مُنقِذَ له) أفادَ نفيَ وجودِ أيِّ مُنقذٍ لهم، وليس

(1) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 20.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 18، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 269، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 151.

المقصودُ نفيَ الجنسِ[1]، فأفادَ نفيُ الصَّريخِ نفيَ المُغيثِ الذي يدفعُ عنهم الغرقَ، وأفاد نفيُ الإنقاذِ نفيَ مَن يُنجّيهم بعد الغرقِ.

### نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ: (فَعيلٌ):

صيغةُ (فعيلٍ) بمعنى (فاعلٍ) أبلَغُ في الدَّلالةِ على المُرادِ

عبَّر بصيغةِ (فعيلٍ) في قوله تعالى: ﴿صَرِيخَ﴾ دون (صارخٍ) أو (مُصرِخٍ)؛ لِما تُفيدُه الصّيغةُ من معنى المبالغة؛ أي: للمُبالغةِ في نفي الصَّريخِ الذي يُغيثُهم؛ فإنَّ (فعيلٍ) بمعنى (فاعلٍ) أبلَغُ في المعنى من صيغةِ (فاعلٍ).

### فائدةُ اللّامِ في قولِه تعالى: ﴿لَهُمْ﴾:

مَن طالَه العذابُ فلا مُنقِذَ له من العذابِ

أفادَتِ اللّامُ في قولِه تعالى: ﴿لَهُمْ﴾ معنى الاختصاصِ؛ أي: للمُشركين المُكذِّبين، ومعنى التَّخصيصِ؛ لأنَّ الكلامَ مسوقٌ لبيانِ قُبحِ أفعالِهم منَ الشِّركِ وإنكارِ البعثِ والتَّكذيبِ، مقابلَ نِعَمِ اللّه الجليلةِ عليهم.

### دلالةُ الضَّميرِ في شبهِ الجملةِ: ﴿لَهُمْ﴾:

مَن نالَه العذابُ خَسِرَ الدُّنيا والآخرة

الضَّميرُ في ﴿لَهُمْ﴾ عائدٌ إلى المُشركين المُكذِّبين، تنبيهًا لهم على أنَّه تعالى قد يُغرِقُهم على سبيلِ العذاب، فيجمعُ عليهم عذابَ الدُّنيا والآخرة.

### سرُّ العطفِ بالواوِ في السّياقِ:

الخلاصُ منَ العذابِ، إمّا بدفعِه سلَفًا، أو برفعِه بعد وُقوعِه

أفادتِ الواوُ العطفَ على سبيلِ التَّرقّي، وبيانُه أنَّه لمّا نفى أن يكونَ لهم صريخٌ؛ بمعنى: لا يجدون في البحرِ صريخًا لهم، عطفَ على سبيلِ التَّرقّي في نفي أيِّ حيلةٍ لهم في إنجائِهم فقالَ: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾؛ أي: وإنْ وجَدوا صريخًا فلا يقدرُ على إنقاذِهم؛ أي: فلا يُنقِذُهم مُنقِذٌ منَ الموتِ بالغرقِ[2]، والسَّببُ في هذا العطفِ هو أنَّ الخلاصَ منَ العذابِ، إمّا أن يكونَ بدفعِ العذابِ من أصلِه، أو برفعِه

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 286، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 16/ 231.
(2) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 12/ 363.

بعدَ وقوعِه، فلمّا قال: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أفادَ أنَّه لا صريخَ لهم يدفَعُ العذابَ ويمنعُه؛ أي: لا صريخَ لهم يحرُسُهم منَ الغرقِ؛ لأنَّ الإغاثةَ بمعنى الدَّفع والمنع، ولمّا عطفَ عليه قولَه: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ كان على معنى: ولا هم يُنقَذون بعد غرقِهم ووقوعِهم فيه؛ لأنَّ الإنقاذَ بمعنى التَّخليصِ بعد الوُقوع في ورطةٍ بحسبِ ما سيأتي.

### نكتةُ التَّعبير بـ(لا) دونَ: (ما):

جيءَ بالحرفِ (لا) للإعلامِ بالانتفاء؛ إذ لا إنقاذَ ولا نجاءَ

لمّا كانت (لا) تُفيدُ النَّفيَ في الحال والاستقبال أفادَتْ نفيَ إنقاذِهم بعد غرقِهم، ونُكتةُ التَّعبير بـ(لا) دونَ (ما) هو أنَّ (ما) تُستعمَلُ للرَّدِّ على قولٍ، أو ظنٍّ، أو ما كان مُنزَّلًا هذه المنزلةَ، كقولِه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: 8]، وقال: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الأحزاب: 13]، وقال: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 78]، وأمّا (لا) فإنَّها تُستعملُ لإعلام المُخاطَبين بما يقعُ لهم عند نزولِ العذابِ بالإغراقِ، وليس للرَّدِّ على قولٍ قالوه.

### فائدةُ تقديمِ النَّفي على جملةِ الإسنادِ:

تقديمُ النَّفي أفادَ شُمولَهم بعدَمِ الإنقاذِ إفرادًا وجمعًا

قُدِّمَ النَّفيُ على المُسندِ والمُسندِ إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾، ولم يُقَلْ: (وهم لا يُنقَذون)؛ لأنَّ تقديمَ النَّفي أفادَ شُمولَهم بالنَّفي إفرادًا وجمعًا؛ أي: نفيَ الإنقاذِ عن كلِّ فردٍ منهم، ونفيَ الإنقاذِ على سبيلِ المجموع.

كما أنَّ دخولَ النَّفي على الجملةِ كلِّها أبلَغُ في انتفاءِ الحصولِ من نفي المُسند عن المُسند إليه.

### دلالةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّةِ:

ثبوتُ عدمِ الإنقاذِ، يقتضي صيغةً دالّةً على الثُّبوتِ

عبَّرَ بالجملة الاسميَّة في قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾، دونَ أن يُقالَ: (فلا صريخ لهم ولا ينقذون)؛ لِما تُفيدُه الجملةُ الاسميَّةُ من معنى

الثُّبوتِ والدَّوامِ؛ أي: ثُبوتِ عدَمِ الإنقاذِ عنهم، ودوامِه حالًا، فمآلًا إلى الهَلَكةِ.

**نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ: ﴿يُنقَذُونَ﴾:**

الإغـراقُ ورطـةٌ، ولا يُنجّي منها إلّا المُنجّي ﷻ

عبَّر بلفظِ: ﴿يُنقَذُونَ﴾؛ لأنَّ الإنقاذَ بمعنى التَّخليصِ من ورطةٍ أو مكروهٍ، والتَّنجيةِ منهما[1]؛ ليُفيدَ أنَّهم إنْ أغرقَهم اللّٰهُ تعالى فهم في ورطةٍ لا يخلُصونَ منَ الغرقِ.

**سرُّ مجيءِ الخبرِ جملةً فعليَّةً:**

بيانُ أنْ لا أحدَ يُنقِذُ مَن أغرقَه الله

جاء الخبرُ جملةً فعليَّةً، في قولِه: ﴿يُنقَذُونَ﴾، فاشتمَلَ الإسنادُ على تكرُّرِ النِّسبةِ، بتكرُّرِ المُبتدأ: ﴿هُمْ﴾، وضميرِ الجمع في ﴿يُنقَذُونَ﴾ العائدِ على المبتدأ؛ ليُفيدَ تقوّيَ الحكمِ بنفسِ التَّركيب؛ أي: تحقيقَ نفيِ إنقاذِ أحدٍ إيّاهم، واستمرارَه[2].

**علَّةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المبنيِّ للمفعولِ:**

الإعـلامُ بنفيِ وقوعِ إنقاذِهم، وليس لتعيينِ مَن لا يقدرُ على إنقاذِهم

عبَّر بصيغةِ المبنيِّ للمفعولِ في قولِه تعالى: ﴿يُنقَذُونَ﴾؛ لأنَّ القصدَ الإعلامُ بنفيِ وقوعِ إنقاذِهم، وليس تعيينَ مَن لا يقدرُ على إنقاذِهم، فإنَّه لا غرضَ من معرفتِه، وفيه إشعارٌ بأنَّ هذا الفعلَ لا يقدرُ عليه إلّا اللّٰهُ تعالى، فلمّا كان هو الذي أغرقَهم كان المُنقِذُ لهم معدومًا.

**دلالةُ الاستثناءِ في السّياقِ:**

شرطُ النَّجاةِ منَ الإغـراقِ رحمةً منَ الله تعالى

يحتملُ الاستثناءُ في قولِه تعالى: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أن يكون مُنقطِعًا؛ لأنَّ الرَّحمةَ ليست من جنس الصُّراخ ولا من جنس إنقاذِ النّاس لهم، وإنَّما هي إسعافُ اللّٰه إيّاهم بأيِّ طريقةٍ من طرائقِ الإسعافِ، وتقديرُ الكلام على الانقطاع: لا صريخَ لهم ولا هم يُنجَّونَ منَ الغرقِ البتَّةَ، لكنَّ رحمةً منّا هي التي تُنجّيهم.

(1) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نقذ).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 29.

ويحتملُ أن يكون الاستثناء مُفرَّغًا، وبيانُه: أنَّه لمّا كان ﴿رَحْمَةً﴾ مفعولًا لأجلِه كان على معنى بيانِ العلَّة الغائيَّةِ؛ أي: علَّة إنقاذِهم منَ الغرق، والغاية منه أن يكونَ رحمةً منّا ومتاعًا إلى حينٍ، فيكونُ استثناءً مُفرَّغًا من أعمِّ العللِ الشّاملةِ للباعثِ المُتقدِّمِ والغايةِ المُتأخِّرةِ؛ أي: لا يُغاثونَ ولا يُنقذون لشيء منَ الأشياءِ إلّا لرحمةٍ منّا ولأجلِ المتاعِ إلى حينٍ[1].

وأجاز بعضُ النُّحاة والمُفسِّرين أن يكون الاستثناءُ مُتَّصلًا، وتقديرُ الكلام: ولا يُنجَّونَ منَ الموتِ بالغرقِ لأجلِ شيءٍ إلّا لرحمةٍ[2].

### دلالةُ (مِنْ) في السّياقِ:

(مِنْ) في قولِه: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ ابتدائيَّةٌ، ليُفيدَ أنَّ مُبتدأ الرَّحمةِ وأصلَها منَ اللّه تعالى، وكان معنى الكلام: نُنقِذُهم رحمةً منّا؛ أي: فضلًا منّا ومَنًّا، لا وُجوبًا علينا[3].

رحمةُ اللهِ للعبادِ تفضُّلٌ منه، وليستْ واجبةً عليه سُبحانَه

### نكتةُ الإسنادِ إلى نونِ العظَمةِ:

في قولِه: ﴿مِّنَّا﴾ أُسنِدتِ الرَّحمةُ إلى نونِ العظمةِ؛ لإفادة أنَّ هذه الرَّحمةَ عظيمةٌ من قِبَلِنا، وأنَّه لولا عظمَتُها لَما أُغيثوا ولا أُنقِذوا؛ إيذانًا بعِظَمِ ذنوبِهم وكثرةِ معاصيهم.

رحمةُ اللهِ وسِعَتِ الطّائعين والمُذنبين على حدٍّ سواءٍ

### فائدةُ العطفِ في السّياقِ:

لمّا كان ﴿وَمَتَٰعًا﴾ معطوفًا على ﴿رَحْمَةً﴾ الذي هو مفعولٌ لأجلِه؛ لبيانِ سببِ الإغاثةِ والتَّنجيةِ أفاد أنَّ مجموعَ المعطوفِ والمعطوفِ عليه سببٌ فيهما؛ إذ الرَّحمةُ بدون تمتيعِ الحياةِ لا تكونُ علَّةً للتَّنجيةِ، كما أشعرَ العطفُ بترتُّبِ التَّمتيعِ بالحياة على رحمتِه تعالى

لولا رحمتُه في إنقاذِ النّاسِ من الهلاك لما تمتَّعوا إلى حينٍ

(1) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 289، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 71، والسمين الحلبي، الدرالمصون: 9/ 272، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 169.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 18، والعكبري، التبيان: 2/ 1084، والطيبي، حاشية على الكشاف: 13/ 60، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 152.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 135.

بهم؛ أي: فلولا رحمتُه العظيمةُ في إنقاذِهم وخلاصِهم منَ الهلاكِ لَما تمتَّعوا إلى حينٍ[1].

**نكتةُ التَّعبيرِ بقولِه ﴿وَمَتَٰعًا﴾:**

كلُّ ما فيه انتفاعٌ وتلذُّذٌ في الدُّنيا ينقَضي بانتهاء الأجَلِ

لمّا كان معنى المتاعِ كلَّ ما يُنتفَعُ به على وجهٍ ما انتفاعًا لوقتٍ مُمتَدٍّ على وجهِ التَّلذُّذِ به سواءٌ أكان لباسًا، أو طعامًا، أو مركوبًا، أو غير ذلك ممّا يُنتَفَعُ به في الدُّنيا[2]، وأنَّ المفعولَ لأجلِه ﴿وَمَتَٰعًا﴾ لم يأتِ مُبَيِّنًا لوجهِ المتاعِ؛ أفادَ التَّعبيرُ به أنَّ انتفاعَهم المُطلقَ في أوقاتِ حياتِهم وإن امتَدَّ فإنَّه مقطوعٌ بالأجلِ، وهو الموتُ، فأشعرَ أنَّ متاعَهم وتلذُّذَهم في الدُّنيا قليلٌ ما دام له أجلٌ بالموت، ففيه تخويفٌ بعذابِ الآخرة، لِما يُؤذِنُ به انتهاءُ الغاية بـ﴿إِلَىٰ﴾ بانقطاعِ تمتيعِهم بانقضاء الأجل، أي: بالموت.

وفيه إشارةٌ كذلك إلى أنَّ كلَّ ما يكون فيه انتفاعٌ وتلذُّذٌ في الدُّنيا سواءٌ أكانَ قليلًا أم كثيرًا، جليلًا أم حقيرًا، هو منَ المتاع الذي ينقَضي بانتهاءِ الأجلِ.

**سببُ تقييد الرَّحمة بقولِه: ﴿مِّنَّا﴾ دون التَّمتيعِ:**

رحمةُ اللهِ ظاهرُها عطفٌ وباطنُها لُطفٌ، وكلاهما خيرٌ

قد يُقالُ: لمَ قيَّدَ الرَّحمةَ بكونِها منه تعالى فقال: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾، ولم يُقيِّد المتاعَ بأن يُقالَ: (ومتاعًا منّا إلى حين) مع أنَّ كلَّ الأمورِ منه تعالى؟.

وجوابُه أنَّه لمّا كانتِ الرَّحمةُ خيرًا في ظاهرِها وباطنِها نسبَها إليه تعالى، وللإشعار بأنَّه لولا رحمتُه لما أُنقِذوا منَ الغرق، وأمّا التَّمتيعُ فهو في ظاهرِه استِدراجٌ لهم إلى الموتِ، فلم ينسبْه إليه ﷻ.

**بلاغةُ الاستعارةِ التَّهكُّميَّةِ:**

في قولِه تعالى: ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ استعارةٌ تهكُّميَّةٌ، بيانُها: أنَّه

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 169، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 152.
(2) الراغب، المفردات (متع).

لمّا كان السّياقُ في بيان حالِ المُشركين المُكذِّبين، كان جَعلُ الغايةِ من إنقاذِ الكافرين: هي تمتُّعَهم في الدُّنيا على سبيلِ الاستعارة التَّهكُّميَّة، فإنَّ تمتُّعَ الكافر تهكُّمٌ به[1]؛ لأنَّ انتفاعَه بالعيش في الدُّنيا هو استدراجٌ له وزيادةٌ في عذابِه يومَ القيامةِ، فيكونُ تمتُّعُه حُجَّةً عليه.

تمتُّعُ الكافرِ بالعيشِ في الدُّنيا استِدراجٌ له، وزيادةٌ في عذابِه يوم القيامةِ

### نكتةُ تقييدِ المتاعِ في السّياقِ:

قُيِّدَ المتاعُ في قولِه تعالى: ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ بالجارِّ والمجرورِ (الظَّرفِ)؛ للإيذان بأنَّ تمتيعَهم ليس مُطلقًا، بل له غايةٌ زمانيَّةٌ ينتهي إليها، وهي آجالُهم المضروبةُ لهم، وفي هذا التَّقييد لطيفةٌ بلاغيَّةٌ، وهي أنَّه لمّا كان الاستثناءُ على معنى أنَّه تعالى رحمَهم بإنقاذِهم منَ الغرقِ والموتِ، وكان إنقاذُهم سببًا لتمتيعِهم في الدُّنيا إلى أجلٍ يموتون فيه أفادَ أنَّهم إنْ سلِموا من موتِ الغرقِ فذلك سلامةٌ إلى أجلٍ يموتون فيه لابدَّ لهم منه، فإنَّ كلَّ حيٍّ صائرٌ إلى الموتِ فإذا نجا من موتةٍ استقبلته موتةٌ أخرى ولكنَّ اللَّه أودَعَ في فطرةِ الإنسانِ حُبَّ زيادةِ الحياةِ مع علمِه بأنَّه لا محيدَ له عن الموتِ[2]، وفي هذا المعنى قال المُتنبّي:

التَّمتُّعُ ينتَهي بالموتِ، ومَن نَجا مِن مَوتةٍ استقبلَتْه أُخرى

ولَم أَسلَمْ لكي أبقَى ولكِنْ *** سَلِمْتُ منَ الحِمامِ إلى الحِمامِ[3].

أي: إن سلِمْتُ من مرضٍ لم أبقَ خالدًا، ولكنْ سلِمْتُ منَ الموتِ بهذا المرضِ إلى الموتِ بمرضٍ أو سببٍ آخر[4].

### دلالةُ لفظِ ﴿حِينٍ﴾ في الآيةِ:

لمّا كان لفظُ ﴿حِينٍ﴾ يُقصَدُ به وقتُ بلوغِ الشَّيءِ وحصولِه، طالَ أم قصُر[5]، وكان المُرادُ به في قولِه: ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ الموتَ؛ أي:

لا مندوحةَ منَ الأجَلِ وإنْ طالَ الأملُ

(1) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 2/ 138.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 30.
(3) ديوان المتنبي، ص: 478، ولفظ صدر البيت فيه: (وإنْ أسلمْ فما أبقى ولكنْ).
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 18، وابن المنير، حاشية على الكشاف: 4/ 18.
(5) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 161، والراغب، المفردات: (حين).

إلى حينِ انقضاءِ الأجلِ؛ أفاد أنَّ تمتُّعَهم قد يطولُ وقتُه وقد يقصُرُ، ففي التَّعبيرِ بلفظِ ﴿حِينٍ﴾؛ تحذيرٌ لهم منَ التَّمادي والانشغالِ بما يتمتَّعونَ به؛ فإنَّ أجلَهم قصيرٌ، وهو وإن طالَ في الوقت، فإنَّه سينتَهي ولو بعد حينٍ.

**فائدةُ تنكيرِ لفظِ ﴿حِينٍ﴾:**

**التَّحذيرُ من ملذّات الدُّنيا؛ لأنَّ الأجلَ قصيرٌ وإن طالَ**

لمّا كان لفظُ ﴿حِينٍ﴾ من أسماء الزَّمان المُبهمة التي تتخصَّصُ بالإضافةِ، وجاء في قولِه: ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ نكرةً مُنوَّنًا غيرَ مُضافٍ؛ فإنَّ تنكيرَه أفادَ الإبهامَ، وذلك للإيذانِ بأنَّ أجلَهم الذي يموتون فيه مُبهَمٌ لا يعلَمُه إلّا اللّه تعالى، ويحتملُ أن يُفيدَ التَّنكيرُ التَّقليلَ، بمعنى: أنَّ أجلَهم وإن امتدَّ فهو قليلٌ؛ لأنَّه مُنتَهٍ، ولا يمتنعُ الحملُ على المعنيَين؛ أي: فيكونُ المرادُ الإبهامَ والتَّقليلَ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»